يسوع والنساء

بن ويذرنغتون الثالث (Ben Witherington III) · الترجمة الألمانية: Hans-Jörg Ronsdorf
مايو/أيار 2021 · نُقّحت في أكتوبر/تشرين الأول 2026

قيل في الآونة الأخيرة إن يسوع كان «نسويًا جذريًا». كان شخصًا قوّض عن قصد الإطار الأبوي التقليدي الذي كان جزءًا واضحًا جدًا من ثقافة العهد القديم ودينه. وكان تعليمه وأسلوب حياته، بحسب ادّعاء كثيرين، بحيث لا ينسجم مع نظرته إلى العالم إلا **نظرة مساواتية** إلى العلاقات بين الزوج والزوجة، ونظرة متساوية الحقوق إلى أدوار الرجال والنساء بوصفهم تلاميذ. وقد فرضت هذه الطريقة في تحليل آراء يسوع في النساء نفسها، في الأوساط العلمية وأوساط غير المتخصّصين على السواء، بوصفها التفسير «الصحيح» للمادة ذات الصلة في الأناجيل الأربعة. **ولعلّه يجدر بنا مع ذلك أن نسأل: أليست هذه محاولة أخرى لتشكيل يسوع وآرائه على صورة اهتماماتنا الحديثة الخاصة بمكانة النساء في الجماعة المسيحية؟**

كثيرًا ما نأتي إلى النص الكتابي ومعنا أجندة (أي تحديد مسبق أو قرار مسبق)، وليس من المستغرب أننا كثيرًا ما نجد ما نبحث عنه! فنحن نستعمل الأدلة بطريقة توضّح الحقيقة جزئيًا وتحجبها جزئيًا. ثم كثيرًا ما تُملي افتراضاتنا المسبقة عن النص وطريقتنا في التعامل معه نوعَ النتائج التي نحصدها. فالمنهجية، كما قال روبرت فنك (Robert Funk) ذات مرة، ليست شبكة محايدة. إنها تصطاد ما يُراد لها أن تصطاده.

في ما يتعلّق بمسألة النساء في خدمة يسوع، فإن الطريق الوحيد لتجنّب مشكلات قراءة أجندة ما في النص هو الدراسة المتأنّية الشاملة التاريخية للمادة ذات الصلة. لا ينبغي أن ندّعي أننا نعرف ما يعنيه النص لنا قبل أن نفحص ما كان يعنيه لكاتبه ولجمهوره في بيئته التاريخية الأصلية. ومن الواضح تمامًا أن النص لا يمكن أن يعني اليوم شيئًا يناقض ما أراد الكاتب أن يقوله آنذاك. ومع وضع هذه الأفكار في الحسبان، دعونا ننظر في بعض المادة ذات الصلة، علمًا بأنني لا أستطيع أن ألخّص إلا جزءًا من المادة الواردة في دراستي «Women in the Ministry of Jesus» (Cambridge: Cambridge University Press, 1984).

خصيان لأجل ملكوت الله

جاء يسوع ليكرز بملكوت الله، وهو حدث كانت له آثار على النساء، لكنه لم يتناول مباشرة مسألة المكانة اللائقة بالنساء في هذا الملكوت وفي جماعة المؤمنين التابعة له. ومع ذلك فإن الآثار مدهشة. خذوا مثلًا المقطع في متى 19: 10-12، حيث يعلن يسوع أن للشخص غير المتزوّج مكانًا في ملكوته.

> [متى 19: 10-12] «قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوّج! فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم، لأنه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. من استطاع أن يقبل فليقبل.»

لا يبدو هذا للوهلة الأولى مفهومًا جذريًا جدًا، إلى أن نراه في سياقه التاريخي. فقد كان المعلّمون اليهود في زمن يسوع يعتقدون أن التكوين 1: 28 يأمر بأن يتزوّج جميع الأصحّاء جسديًا ويتناسلوا. **لم يكن البقاء أعزب باختيار حرّ خيارًا مشروعًا.** بل إن الربّانيين كثيرًا ما اعتبروا الخصيان إهانة لله. وفي المقابل علّم يسوع أن البقاء أعزب لأجل ملكوت الله أمر مشروع. وقد يكون هذا النص تبرير يسوع لبقائه هو نفسه أعزب. وكان

لهذا التعليم أثر عميق في النساء في خدمة يسوع. **فقد عنى أنه صار بإمكانهنّ أن يكنّ في هذه الحياة شيئًا آخر غير زوجة أو أمّ.** هنا إذن نرى ابتعادًا جذريًا عن اليهودية، ففي اليهودية كان يُقال إن مكان المرأة يجب أن يكون في البيت حصرًا. لم تكن لها إمكانية أن تكون تلميذة لربّاني مشهور أو أن تتلقّى إعدادًا لقيادة العبادة في المجمع، ناهيك عن أن تخدم كاهنة في الهيكل.

مرثا ومريم

في لوقا 10: 38-42 نعرف كيف كان يسوع يفكّر في مثل هذه المواقف اليهودية.

> [لوقا 10: 38-42] «وفيما هم سائرون دخل قرية، فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها. وكانت لهذه أخت تُدعى مريم، التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه. وأما مرثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة. فوقفت وقالت: يا رب، أما تبالي بأن أختي قد تركتني أخدم وحدي؟ فقل لها أن تعينني! فأجاب يسوع وقال لها: مرثا، مرثا، أنتِ تهتمّين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، ولكنّ الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها.»

هنا نرى بوضوح تام قصة تقوم على التضادّ. فمرثا تأخذ دور المضيفة اليهودية التقليدية، بينما تمثّل مريم التلميذة المصغية. وعبارة «الجلوس عند القدمين» (10: 39) كثيرًا ما تُستعمل تعبيرًا اصطلاحيًا يعني أن يكون المرء تلميذًا لشخص ما، ومن المرجّح أن لها هنا هذا المعنى. وحين تتضايق مرثا من أن مريم لا تساعد في المطبخ، بل وتعاتب يسوع لأنه لا يفعل شيئًا حيال ذلك، تأخذ القصة منعطفًا مفاجئًا إلى حدّ ما. فيسوع لا يُبعد مريم إلى لجنة الضيافة، بل يشير إلى أن مريم اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها. **لها الحقّ، بل عليها واجب أسمى، في أن تكون تلميذة ليسوع، لا مضيفة له.** وهذا يتّفق مع تعليم يسوع في موضع آخر بأنه لا شيء له أولوية أعلى من أن يحمل المرء صليبه ويتبع يسوع. لكن تطبيق ذلك على النساء كان سيُعتبر في الأوساط اليهودية أمرًا مرفوضًا قطعًا.

التلميذات

نعرف من لوقا 8: 1-3 أن نساءً كنّ بين مرافقي يسوع في تنقّلاته، وهي حقيقة كانت ستُعتبر في حدّ ذاتها فضيحة، لأنهنّ على الأرجح لم يكنّ زوجات تلاميذه.

> [لوقا 8: 1-3] «وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشّر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر. وبعض النساء كنّ قد شُفين من أرواح شريرة وأمراض: مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ويونّا امرأة خوزي وكيل هيرودس، وسوسنّة، وأُخر كثيرات كنّ يخدمنه من أموالهنّ.»

من المرجّح أن يسوع لُقّب على سبيل السخرية «محبّ الخطاة» بالذات لأنه أعطى النساء وغيرهنّ من الفئات المحرومة من الحقوق دخولًا حرًّا ومتساويًا إلى جماعته. وفي لوقا 8: 1-3 نلاحظ أيضًا أن هؤلاء النساء كنّ على ما يبدو يقمن بوظائف في الجماعة تولّاها لاحقًا الشمامسة والشمّاسات – فقد كنّ يهتممن بالاحتياجات المادية للجماعة وبخيرها.

العائلة الجسدية والعائلة الروحية

لا يكاد يمكن المبالغة في أهمية تعليم يسوع عن عائلة الإيمان في مقابل العائلة الجسدية. فمن نصوص مثل مرقس 3: 31-35 والنصوص الموازية يتّضح أن يسوع رأى الإيمان، لا النَّسَب، أساسًا للمطالبة بمكان في جماعته.

> [مرقس 3: 31-35] «فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجًا وأرسلوا إليه يدعونه. وكان الجمع جالسًا حوله، فقالوا له: هوذا أمك وإخوتك خارجًا يطلبونك. فأجابهم قائلًا: من أمي وإخوتي؟ ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي.»

والواقع أن مرقس 3: 21 وما يليه (قارن يوحنا 7: 5) يوحي بأن الروابط الجسدية بيسوع قد تكون فعلًا حجر عثرة أمام فهمه. وفضلًا عن ذلك، توضّح نصوص مثل مرقس 10: 29-30 ولوقا 12: 49-53 والنصوص الموازية، وكذلك لوقا 9: 57-62 أن عائلة الإيمان، لا العائلة الجسدية، هي عند يسوع وحدة العلاقات الأساسية داخل ملكوت الله. صحيح أنه إذا كانت عائلة جسدية (مثل مريم ومرثا ولعازر) مسيحية، فيمكن للعائلة الجسدية وعائلة الإيمان أن تقفا معًا. لكن إذا انقسمت العائلة الجسدية بسبب الولاء ليسوع، ولم ترد أن تخدم جسد المؤمنين بل أن تفرّقه، فيجب أن تكون الأولوية لعائلة الإيمان. إن مرقس 3: 31-35 يعني ما لا يقلّ عن أن إخوة المرء وأخواته في الإيمان هم العائلة الأولى التي عليه أن يحفظ لها الولاء في المقام الأول. وإذا نشأ موقف «إما هذا أو ذاك»، فمن الواضح أين كان ولاء يسوع وأين كان يتوقّعه من تلاميذه. وهذا الموقف موجود بدرجة أقلّ أيضًا عند الربّانيين وتلاميذهم، حيث كان يُدّعى أحيانًا أن التلميذ مدين بولائه الأول لمعلّمه «الذي أدخله إلى العالم الآتي» قبل والديه «اللذين أدخلاه إلى العالم». غير أن يسوع طبّق هذا المبدأ بطريقة أكثر جذرية وشمولًا (قارن لوقا 11: 27-28؛ 12: 49-53). ولم تستوعب الكنيسة بعدُ كل ما يعنيه هذا لعلاقاتنا في المسيح.

السامرية عند البئر

نجد دليلًا عَرَضيًا على رأي يسوع في قيمة شهادة امرأة عنه في يوحنا 4. فقصة المرأة عند البئر معروفة جدًا بحيث لا داعي لتكرارها، لكن أمورًا عدّة في هذه القصة تشير إلى موقف يسوع من النساء. أولًا، كان المعلّمون اليهود يصرّون على أن الرجال اليهود يجب ألا يتكلّموا مع النساء في الأماكن العامة إلا قليلًا أو لا يتكلّموا معهنّ إطلاقًا، ولا سيما مع النساء الغريبات. وكان هذا ينطبق أكثر على النساء «سيّئات السمعة» أو ذوات «الأصل الغريب». فالنساء السامريات كنّ في نظر الربّانيين «حائضات منذ الرحم»، أي نجسات دائمًا، لا يجوز لمسهنّ، منبوذات. لذلك لم يكن ليسوع، في نظر التلاميذ، ما يتحدّث به مع هذه المرأة عند البئر. لكن يسوع لا يكتفي بالتحدّث إليها، بل يرفض أن يعاملها على أنها نجسة، ويشركها في واحد من أهمّ النقاشات اللاهوتية في الإنجيل الرابع كلّه. **وهذا يدلّ على أنه حتى امرأة مثلها كانت متلقّية مناسبة للمعلومات اللاهوتية، بل ومرشّحة مناسبة للتلمذة.** ثانيًا، يؤكّد الإنجيلي الرابع أنه بينما كان تلاميذ يسوع الرجال منشغلين بالبحث عن الطعام الذي لا يُشبع، **ذهبت هذه المرأة إلى الآخرين لتعلن الرسالة. فدفعت هذه الرسالة كثيرين إلى المجيء إلى يسوع ليسمعوا عن طعام يمنح الحياة الأبدية** (4: 39). وقد يكون المثل في 4: 37-38 يريد أن يشير إلى أن المرأة واحدة من الزارعين أو الحاصدين. فالمرأة السامرية إذن يراها الإنجيلي الرابع شخصًا يجسّد دور التلميذ تجسيدًا صحيحًا – لخزي الاثني عشر. ومن طبيعة مشابهة،

وإن كان أكثر صراحة، تكليف يسوع لمريم المجدلية بأن تكون «رسولة الرسل»، إذ كانت أول شاهدة على القيامة (يوحنا 20: 17-18).

يسوع وشرائع الطهارة

ومن الأهمية الخاصة أيضًا أن يسوع، ضمنًا، لا يعتبر شرائع العهد القديم في الطاهر والنجس ملزمة له ولأتباعه. فهو لا يعتبر لمس جثة (لوقا 7: 15)، ولا لمس امرأة خاطئة (لوقا 7: 36 وما يليه)، ولا لمس امرأة نازفة دمًا (مرقس 5: 27 وما يليه) أمرًا منجِّسًا. بل إن مرقس 7: 1 وما يليه يقول صراحة إن يسوع أعلن أن جميع الأطعمة طاهرة (7: 19ب)، وذلك على أساس المبدأ القائل إن ما يخرج من الإنسان وحده هو ما ينجّسه، لا ما يدخل إليه أو يلمسه (7: 15).

التسلّط في مقابل الخدمة

ومن النصوص الأخرى التي تتعلّق بالنساء، في علاقاتهنّ بالعائلة الجسدية وبعائلة الإيمان على السواء، لوقا 22: 24-30. هنا يحدّد يسوع نوع القيادة أو الإدارة التي ينبغي أن يمارسها الاثنا عشر على أتباعه. فهو يعلن أنهم لا ينبغي أن يكونوا مثل الأمم الذين يتسلّطون على الناس، بل أن يتبعوا مثال يسوع ويكونوا خدّامًا للجميع. **من الواضح أن الرئاسة عند يسوع تعني أن يكون المرء خادمًا أول – فهي تتطلّب مسؤولية أكبر، لا امتيازات أكثر.** وليس المقصود أنه ليس لهم سلطان أو لا يستطيعون ممارسته في التعليم والوعظ والشفاء. **لكن ما يعنيه هو أن النموذج الأبوي التقليدي للقيادة يجب أن يُصلَح في ملكوت الله. فاختيار يسوع للرجال الاثني عشر وتكليفه إياهم قبل قيامته وبعدها على السواء يوضّح أن يسوع كان يهدف إلى إعادة ترتيب، لا إلى رفض المفهوم التقليدي للقيادة.** ومهما كان معنى هذا المفهوم في ملكوت الله، فمن الواضح أن الإنجيليين لم يفهموه على أنه يمنع النساء من إعلان البشارة السارّة (يوحنا 20: 17-18)، أو حتى من تعليم أعضاء مهمّين من الرجال في الكنيسة (أعمال الرسل 18: 24-26).

يسوع والطلاق

ما قلناه حتى هذه النقطة من النقاش ليس إلا وجهًا واحدًا من القصة. **أما الوجه الآخر فيحكي عن اهتمام يسوع بتقوية البنية التقليدية للعائلة الجسدية وبجعلها أكثر عدلًا تجاه النساء.** وتوضّح تعاليم يسوع عن الزواج والعائلة والطلاق هذه الحقيقة. **فمثلًا يشدّد يسوع في متى 5: 27 وما يليه تشديدًا واضحًا تحريمَ الزنى. فهو يجب أن يشمل أيضًا ميل القلب، لا أفعال الجسد فقط.** وفضلًا عن ذلك يتّخذ يسوع في متى 19 (قارن مرقس 10) موقفًا صارمًا جدًا من الطلاق. بل إن كثيرين من العلماء يؤكّدون أن رأيه هو «لا طلاق»، إلا إذا كان الزواج غير شرعي من الأساس (مثلًا في حالة اقتران بين محارم). ويتّضح أن يسوع اتّخذ موقفًا صارمًا ضد الطلاق من جواب التلاميذ في متى 19: 10. فقد كانوا يعرفون جيدًا أن بعض الربّانيين قالوا إنه لا ينبغي للمرء أن يطلّق إلا في حالة الزنى. ومن المشكوك فيه أن التلاميذ كانوا سيتجاوبون على هذا النحو لو فهموا أن يسوع يقف ببساطة إلى جانب أحد طرفَي الجدل اليهودي التقليدي. كما أن إنجيلَي مرقس ولوقا لا يذكران أي أسباب مقبولة للطلاق. ولا شكّ أن السامعين الأوائل الذين تلقّوا هذه الأناجيل كانوا سيفهمون أن يسوع علّم «لا طلاق». فالطلاق عند يسوع زنى، وكذلك الزواج من جديد، لأن الاتحاد بين الاثنين اللذين جمعهما الله لا ينحلّ في نظره، إلا على الأرجح بالموت (متى 19: 9؛ مرقس 10: 11-12؛ لوقا 16: 18). وفي متى 19: 8-9 **يقابل يسوع موقفه بموقف موسى.** فموسى أذن بالطلاق من أجل قساوة القلوب، أما يسوع

فأصرّ الآن على وجوب التمسّك بنظام الخليقة الأصلي الذي وضعه الله وبقصده الأصلي، لأنه يُدخل الخليقة الجديدة. **ومهما كان هذا التعليم صعبًا أو مثيرًا للجدل، فإن أثره العام في النساء كان أنهنّ حصلن على أمان أكبر بكثير في دورهنّ زوجات.** فقد قال بعض الربّانيين إن للرجل أن يطلّق ويتزوّج من جديد إذا وجد امرأة أجمل من زوجته، أو إذا أحرقت زوجته الحالية طعام الفطور. أما في جماعة يسوع فليس الأمر كذلك. كان يمكن للنساء أن يكنّ واثقات بأن مثل هذا النزوة لا يمكن أن تكون سببًا للطلاق في الجماعة المسيحية. فحتى لو كان متى 19: 9 (5: 32) يجيز الطلاق بسبب الزنى (وهو ما يبدو غير مرجّح)، فإن يسوع قلّص كثيرًا حرية الرجال في الطلاق (في الثقافة اليهودية في القرن الأول لم يكن الطلاق ممكنًا إلا للرجال).

ويوضّح يوحنا 7: 53-8: 11 أيضًا أن يسوع لم يتسامح مع ازدواجية المعايير. فهنا يُطرح السؤال: أين الزاني الذي أُمسك هو أيضًا في ذات الفعل؟ من الواضح أن شيوخ اليهود هؤلاء أخذوا في هذه الحالة خطيئة المرأة بجدّية أكبر من خطيئة الرجل. ولم يشارك يسوع في مثل هذا الأسلوب الانتقائي المنحاز في القضاء. **فهو لا يتجاهل خطيئة المرأة، لكنه لا يدينها أيضًا. إن إدانته الحقيقية تقع على نظام يميّز ضد الأعضاء «الأضعف» في المجتمع.** وفي ما بعد ينتقد الكتبة الذين يحتالون على الأرامل العاجزات ليأخذوا القليل الذي كان لهنّ من مال (مرقس 12: 40 والنصوص الموازية). وكان يسوع أيضًا شديد التأثّر من أن الوالدين المسنّين كانوا يُحرمون من حقوقهم على يد أولادهم بحجّة التقوى (مرقس 7: 9-13). ونعرف أيضًا أن الأطفال كانت لهم مكانة خاصة في خدمة يسوع. فقد أصرّ على حقّهم في المجيء إليه، رغم مقاومة التلاميذ (مرقس 10: 13 وما يليه). وكان ليسوع تعاطف مع نساء فقدن أقرباءهنّ (لوقا 7: 11 وما يليه؛ يوحنا 11)، أو لهنّ أقرباء مرضى (مرقس 7: 24 وما يليه)، أو يعانين مشكلات خاصة (لوقا 8: 1-3). وشركته معهنّ (يوحنا 12؛ لوقا 10) وأمانتهنّ له حتى النهاية المرّة (بل وأكثر من أمانة الاثني عشر) تشيران إلى علاقة خاصة بين يسوع وبين من ربما عاملهنّ بعض التلاميذ الرجال على أنهنّ أصغر التلاميذ، اللواتي لا يمكن حتى الوثوق بكلامهنّ (لوقا 24: 11). **كل هذا يشير إلى رفع لافت جدًا لشأن الأدوار التي استطاعت النساء أن يأخذنها في جماعة يسوع، بالمقارنة مع مكانتهنّ المنتقصة في اليهودية.** فهناك لم يكن يُسمح لهنّ، بسبب نجاستهنّ الشهرية، بقراءة التوراة في المجمع أو بالانتماء إلى المجلس القيادي.

تقودنا دراستنا لأقوال يسوع وأفعاله إلى الاستنتاج بأن يسوع اختلف عن معاصريه اليهود في نقاط كثيرة، وإن لم يكن في جميعها. ويزداد هذا لفتًا للنظر حين نلاحظ أن يسوع، على حدّ علمنا، لم يغادر بيئته اليهودية المباشرة قطّ لفترة طويلة، والأهمّ من ذلك أنه وجّه رسالته خصّيصًا إلى مواطنيه اليهود.

كان رفض يسوع الصارم للطلاق سيُغضب عمليًا كل إنسان في عصره. وفضلًا عن ذلك فإن رأي يسوع بأن العزوبية، لمن أُعطيت لهم، دعوة مشروعة وغير شاذّة كان يناقض الآراء السائدة في أنحاء مختلفة من الإمبراطورية الرومانية عن واجب الرجل أن يتزوّج ويتناسل، لكنه لم يكن يناقضها في أي مكان أكثر مما في وطنه فلسطين. وقد اقترحت أن هذا التعليم هو الذي مكّن النساء من أن يأخذن في جماعة يسوع أدوارًا أخرى أيضًا غير دور الزوجة والأم. وكون يسوع لم يستحسن أشكالًا مختلفة من جعل النساء «أكباش فداء»، ولا سيما في المسائل الجنسية، أوقعه في صراع مع ربّانيين آخرين، مع أنه لا شكّ أن كثيرين حتى من الأمم كانوا يرون أن يسوع، برفضه «ازدواجية المعايير»، دفع المساواة في الحقوق إلى أبعد مما ينبغي. **وفضلًا عن ذلك، لا نجد على لسان يسوع، بخلاف كتّاب يهود مختلفين، أي ملاحظات سلبية عن طبيعة النساء وقدراتهنّ وإمكاناتهنّ الدينية بالمقارنة مع الرجال.** وهناك أيضًا ما يدعو إلى الافتراض بأن تقدير يسوع لقيمة شهادة المرأة وقوّتها في الإثبات كان أعلى من تقدير معظم معاصريه، إن لم يكن جميعهم (قارن يوحنا 4: 27-42). وتعليم يسوع بأن مطالب عائلة الإيمان لها الأولوية على مطالب العائلة الجسدية، عند

الرجال والنساء على السواء (قارن مرقس 3: 31-35؛ 10: 29-30)، أدّى أيضًا إلى بعض الأوضاع التي كان اليهود والأمم على السواء سيعدّونها مستهجنة. فمثلًا، أيّ زوج (يهوديًا كان أو أمميًا) كان سيدع زوجته عن طيب خاطر تترك البيت والعائلة لتصير تابعة لواعظ يهودي متجوّل؟ ومع ذلك يشير لوقا 8: 3 على الأرجح إلى أن يونّا امرأة خوزي فعلت ذلك. **غير أن هذا التعليم لم يقُد يسوع إلى رفض البنية التقليدية للعائلة رفضًا قاطعًا، ولا، على ما يبدو، إلى رفض الإطار الأبوي الذي كان قائمًا إلى حدّ ما في جميع الثقافات المتوسّطية المختلفة في ذلك الزمن.** فتعاليم يسوع في موضوع القربان، وإكرام الوالدين، والطلاق، والأطفال، توضّح أنه لم يدعُ إلى رفض البنية التقليدية للعائلة. وإن كان متى 5: 27-32 ويوحنا 7: 53-8: 11 يقدّمان أي إشارة، فإن يسوع أكّد مسؤولية الزوج والقادة الرجال عن أن يكونوا قدوة أخلاقية للجماعة. **واختيار يسوع لاثني عشر رجلًا قادةً لجماعته الجديدة يوحي أيضًا بأنه سعى إلى إصلاح الإطار الأبوي الذي عمل في ظلّه، لا إلى رفضه.**

إن بعض أقوال يسوع وأفعاله، مثل تعليمه عن شرائع النجاسة، وشفائه امرأة يوم السبت، واستعداده للتحدّث مع امرأة غريبة على الملأ، كانت مستهجنة بوضوح لدى مواطنيه اليهود، **لكنها على الأرجح لم تكن لتثير كثيرًا من الضجّة خارج السياق المحلّي ليسوع.** وكذلك موقف يسوع من حقّ المرأة في التعليم الديني وفي أن تكون تلميذة لقائد ديني، فمع أنه كان بلا شكّ صادمًا لليهود، لم يكن ليبدو جذريًا لكثيرين من الرومان أو اليونانيين في ذلك الزمن.

لا تندرج آراء يسوع في النساء وأدوارهنّ في أيّ من فئات عصره. فلم يكن من جماعة قمران، ولا كان ربّانيًا تقليديًا في هذه المسائل، مع أنه كان يشترك مع كلتا الفئتين في أمور معيّنة. فكونه قدّم النساء لأتباعه، في القصص المتخيَّلة والواقعية على السواء، قدوةً في الإيمان، ليس بلا نظير في الأدب الربّاني، وكذلك تعليمه عن إكرام الوالدين. ودعوته الرجال والنساء إلى تكريس جذري لله في ضوء حلول ملكوت الله فيها أوجه شبه معيّنة بتعاليم يوحنا المعمدان وقمران. ولكن إجمالًا، ولا سيما في ضوء سياقه اليهودي، **يبدو يسوع مصلحًا فريدًا، وجذريًا أحيانًا، للآراء في النساء وأدوارهنّ التي كانت سائدة في شعبه. وفضلًا عن ذلك يبدو أنه كان لا بدّ بعدُ من كسب التأييد لموقف جديد وأكثر انفتاحًا تجاه النساء حين كتب الإنجيليون أناجيلهم.** ولعلّ هذا بالضبط هو السبب في أن الإنجيليَّين الثالث والرابع يجتهدان في تقديم نساء مختلفات قدوةً دينية لسامعيهما. **كيف أثّرت إذن هذه المواقف الجديدة من النساء وأدوارهنّ في النساء اللواتي شاركن في جماعة يسوع؟ ماذا قدّمت جماعة يسوع للنساء من حيث المكانة والأدوار بالمقارنة مع ما قُدّم لهنّ في اليهودية؟**

أولًا، يتّضح لا في الأناجيل فقط، بل أيضًا في سفر أعمال الرسل وفي الرسائل (مثلًا رومية 16)، أن تأثير الرسالة المسيحية في النساء كان كبيرًا. ومن المرجّح أن تعاليم يسوع جذبت النساء، جزئيًا، بسبب الأدوار الجديدة والمكانة المتساوية التي مُنحت لهنّ في الجماعة المسيحية. ففي اليونان وروما كانت هناك عبادات كثيرة مقصورة على الرجال، أو لا تسمح للنساء بالمشاركة إلا بطريقة محدودة جدًا في أحسن الأحوال. وفضلًا عن ذلك، من السهل أن نفهم لماذا صارت نساء كنّ على هامش جماعة المجمع متحوّلات إلى المسيحية. فاليهودية لم تقدّم للمتهوّدات إلا مكانًا محدودًا في أحسن الأحوال، إذ كنّ يواجهن القيود الربّانية التي تحدّ من مشاركتهنّ في الوظائف الدينية. وبينما لم يكن يمكن للنساء أن يُحسبن ضمن العدد الأدنى (minyan) اللازم لتأسيس مجمع، ولا أن ينلن علامة العهد اليهودية، لم تكن هذه القيود موجودة في الكنيسة المسيحية. **والتفسير الضروري والكافي لسبب اختلاف المسيحية في هذه المسائل عن أمّها الدينية، اليهودية، هو أن يسوع قطع مع تقاليد كتابية وربّانية على السواء كانت تحدّ من دور المرأة في الممارسات**

الدينية، وأنه رفض محاولات الانتقاص من قيمة المرأة أو من شهادتها. وهكذا منحت جماعة يسوع، قبل الفصح وبعده على السواء، النساء مع الرجال (لا بمعزل عن الرجال كما في بعض العبادات الوثنية) حقًا متساويًا في المشاركة الكاملة في عائلة الإيمان. وكان هذا حقًا لم يكن للنساء في اليهودية المعاصرة ولا في كثير من العبادات الوثنية. إن تعاليم يسوع عن أولويات التلمذة، واستعداده لقبول النساء تلميذات له ورفيقات سفر (قارن لوقا 8: 1-3؛ 10: 38-42)، وتعليمه عن الخصيان وعمّا ينجّس الإنسان، مهّدت فعليًا الطريق لكي تستطيع النساء أن يؤدّين دورًا مهمًا في جماعته. فكان كلّ أحد يستطيع أن يؤمن بيسوع ويتبعه – ولم يُصرّ على أي شروط أخرى للدخول إلى عائلة إيمانه.

وفي ما يتعلّق بالأدوار التي استطاعت النساء أن يأخذنها في كنيسة يسوع وأخذنها فعلًا، يُرينا لوقا خصوصًا أن مهامّ متنوّعة كثيرة تولّتها النساء، ولا سيما في الكنيسة بعد الفصح. فالإنجيلي الثالث يقدّم إشارات (قارن لوقا 8: 3؛ أعمال الرسل 9: 36-42) إلى أن النساء كثيرًا ما استأنفن ببساطة أدوارهنّ التقليدية في الضيافة أو الدعم المادي، وإن كان ذلك الآن في خدمة كنيسة يسوع. وكانت هذه الأدوار مقبولة ما دامت لا تمنع المرأة من أن تختار «الواحد الذي إليه الحاجة» (لوقا 10: 38-42) أو من أن تتعلّم عنه أكثر.

ومع أن تعليم يسوع وجماعته ربما قُبلا من النساء الأمميات بسهولة وطبيعية أكثر مما من النساء اليهوديات، فقد قدّما للنساء اليهوديات من حيث المكانة والأدوار أكثر مما قدّماه للأمميات. فبالنسبة إلى المرأة اليهودية، كانت إمكانية أن تكون تلميذة لمعلّم عظيم، وأن تكون تابعة متجوّلة ليسوع، وأن تبقى عزباء «لأجل ملكوت الله»، أو حتى أن تكون معلّمة للإيمان لأشخاص غير الأطفال، كلّها إمكانيات لم تكن موجودة قبل دخولها إلى جماعة يسوع. ومع ذلك فقد قدّم الإيمان المسيحي والجماعة المسيحية الكثير للنساء غير اليهوديات أيضًا. فإلى جانب المهامّ المذكورة أعلاه، كان عرض الفداء من الخطيئة، وعرض بدء الحياة بفهم جديد للذات وبهدف جديد، وعرض المشاركة الفعّالة في جماعة وجّه معلّمها رسالته خصوصًا إلى المظلومين، عروضًا جذّابة جدًا للنساء الأمميات واليهوديات على السواء. **هذه المكانة الجديدة وهذه الأدوار الجديدة، التي لم يكن بعضها متاحًا لهؤلاء النساء من قبل، هي عوامل تفسّر تدفّق النساء إلى جماعة يسوع.**

ومن الموضوعات الأخرى التي تظهر في الأناجيل تصوير النساء شاهدات موثوقات للحقيقة عن يسوع (مثلًا يوحنا 4)، ولا سيما عن موته ودفنه وقبره الفارغ وظهوره قائمًا من الأموات. ومع أن ذلك ربما كان أمرًا اقتضته الضرورة، فإن من الدلالة بمكان أن جزءًا حاسمًا من الكرازة المسيحية يقوم على شهادة تابعات يسوع. **ويُحسب للإنجيليين أنهم لا يحاولون تجميل هذه الحقيقة، بل يُبرزها الإنجيلي الأول ولوقا والإنجيلي الرابع، وعلى الأرجح مرقس، كلٌّ بطريقته.** ومما يستحقّ الذكر خصوصًا الطريقة التي يكشف بها لوقا صحّة شهادة تابعات يسوع، إذ يبيّن أن الرسول بطرس أكّدها (قارن لوقا 24: 1-10، 12). ومن اللافت أيضًا أن الإنجيلي الرابع يقدّم اعتراف مرثا قدوةً لسامعيه إلى حدّ ما (قارن يوحنا 11: 27؛ 20: 31). وفضلًا عن ذلك، تميل روايات القيامة، كغيرها من أجزاء الأناجيل، إلى الشهادة لأثر موقف يسوع من النساء في الجماعة المسيحية، إذ تظهر النساء في هذه الروايات، كما في غيرها، شاهدات ومشاركات في هذه الجماعة.

خلاصة

لا الوقت ولا المجال يسمحان بمزيد من البحث في هذه المادة. ويكفي أن نقول إن يسوع فعل في خدمته أمرين في آن واحد، كان لهما أثر بالغ في النساء. فمن جهة، مكّن النساء من أن يأخذن مكانًا ومكانة مهمّين

في أقواله وأفعاله وخدمته، بينما حارب في الوقت نفسه الأحكام المسبقة وازدواجية المعايير. وكانت نتيجة ذلك أن النساء، ولا سيما اليهوديات، نلن حقوقًا ووظائف دينية جديدة في عائلة الإيمان. ومن جهة أخرى، اتّخذ خطوات قوّت أدوار النساء التقليدية في العائلة. لذلك يجب رفض الثنائية الجديدة: إما يسوع «نسوي» وإما يسوع «تقليدي». **فلا أحد من المصطلحين ولا أحد من الطرفين المتطرّفين يصف علاقة يسوع بالنساء وصفًا ملائمًا.** وكما في مجالات أخرى كثيرة، تستعصي خدمة يسوع للنساء ومعهنّ على التصنيف البسيط. وحسنًا نفعل اليوم إن حاولنا أن نحفظ التوازن السليم الذي أعلنه يسوع وتابعه بولس. فإن تجاهلت الكنيسة إما الجديد الذي بدأه يسوع، وإما القديم الذي أكّده، فهي معرّضة لخطر مزيد من تفتيت العائلة الجسدية، أو لخطر إطفاء الروح العامل في حياة نساء الله.

ليحفظنا الله من هذين الخطرين.

بإذن كريم من بن ويذرنغتون الثالث (Ben Witherington III).

الأصل الإنجليزي: بن ويذرنغتون الثالث، «Women in the Ministry of Jesus»، Ashland Theological Journal 17 (1984)، ص. 22–30.

التشديدات من وضع المترجم الألماني.